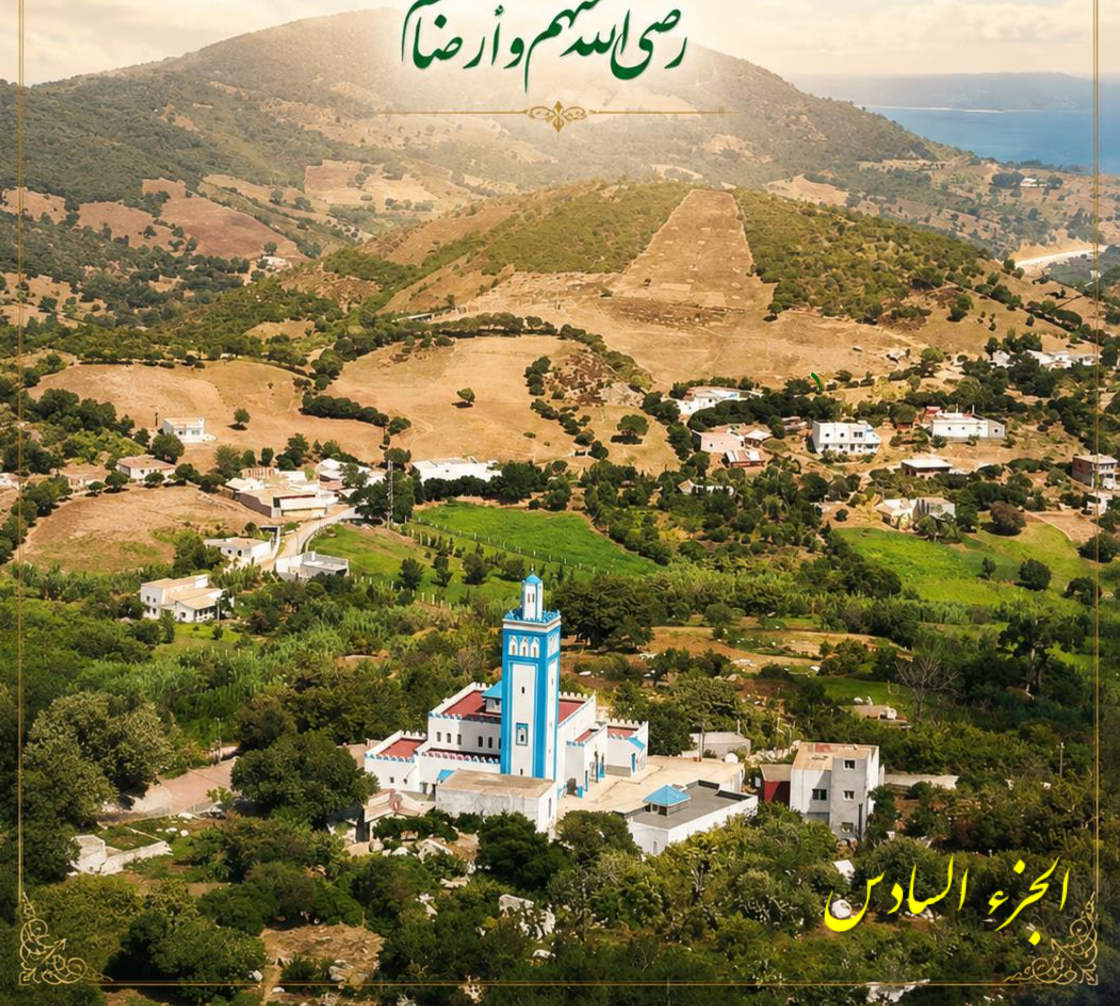
رسائل مولاي العربي الدرقاوي

رضي الله عنهم وأرضاهم



١

الجزء السادس



بسم الله الرحمن الرحيم

الرسالة الحادية والثمانون

في التحذير من الاغترار بالعلم الظاهر والحث على الاقتداء بالأئمة من أهل الباطن مع ذكر شيء من أحوالهم و أقوالهم نفعنا الله بهم وبعلومهم

81- ومنها : فاحذر يا سيدي أحمد الزياتي متابعة العلم الظاهر ❋ وحذّر العالم الجليل سيدي أحمد بن عجيبة الشريف الأنجري رحمه الله ورضي عنه ❋ قال الشيخ

الجليل ولي الله تعالى أبو حفص سيدي عمر بن الفارض في تائيته رضي الله عنه :

ولا تك ممن طيشته دروسه
بحيث استقلت عقله واستقرت
فثم وراء النقل علم يدق عن
مدارك غايات العقول السليمة
تلقيته مني وعني أخذته
ونفسي كانت من عطائي ممدتي

وقال الشيخ المجذوب رضي الله عنه : «إذا كان علم الأوراق نهايته حلاوة اللسان ❋

فإن علم الأذواق نراه أسكن لي في الجنان»

❋ وقال الشيخ الشاذلي رضي الله عنه : «من لم يتغلغل في علمنا هذا مات مصرا على الكبائر وهو لم يشعر» ❋ وقال الشيخ سيدي إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه : «والله لو علمت علما أشرف من هذا تحت أديم السماء لأتيته» ❋ وقال الشيخ سيدي المرسي رضي الله عنه : «إذا رأيت من أعطي العلوم وفتحت له مخازن الفهوم ❋ فلا تجادله بنقل الطروس (بعلم المنقول

المسطر في السطور أي في الكتب) ❊ ولا تحاجه بغيرة النفوس (لا تجعل غيرتك تؤدي بك إلى مجادلته أو الاعتراض عليه) ❊ لأن المواهب (العلوم اللدنية) تفوق المكاسب (علم المعقول والمنقول)» ❊

وقيل للشيخ أبي الحسن سيدي علي بن ميمون رضي الله عنه في ابتداء أمره : «اطرح كتابك واحفر في أرض نفسك يخرج لك ينبوعا ❊ وإلا فاذهب عني» ❊ وقال الشيخ الجليل أستاذنا أبو الحسن

سيدي علي الجمل رضي الله عنه :
«الكتب هي المستمدة من القلوب ❋ وهي التي تنفق عليها من أول الدنيا إلى آخرها ❋ إذ هي الأصل» ❋

وقال الشيخ الشاذلي رضي الله عنه حين لقي شيخه القطب مولاي عبد السلام ابن مشيش رضي الله عنه : «اللهم إني اغتسلت من علمي وعملي حتى لا أعرف علما ولا عملا إلا ما يرد علي على يد هذا الشيخ» - يعني ابن مشيش الشريف- ❋ ثم اغتسل

بالعين المشهورة بالحص وهي بقرب الشيخ المذكور بأسفل الجبل من جهة القبلة شرفها الله ❋ وكان ذلك سُنَّةً لمن أتى بعده ❋ إذ لا طريق لتحصيل علم الحقيقة إلا من ذلك ❋ ولذلك ذكرت هنا ما عرفت من كلام شيوخ الطريقة رضي الله عنهم في هذا المعنى ❋

وقال الشيخ الجليل مولاي عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه في قصيدته العينية:

وإن ساعد المقدور أو ساقك القضا

إلى شيخ حي في الحقيقة بارع

فقم في رضاه واتبع لمراده

ودع كل ما من قبل كنت تصانع

وكن عنده كالميت عند مغسل

يقلبه ما شاء وهو مطاوع

وفي قصة الخضر الكريم كفاية

بقتل غلام والكليم يدافع

إلى قوله : كذلك علم القوم فيه بدائع ❋

واحذر يا سيدي أحمد أن تفهم من كلامنا

هذا إهمال علم الظاهر بمحبة أهل الباطن ❋
لا والله لا والله أن أكون على هذا ❋ مع
أني لا أعرف لك طريقا إلى الحقيقة إلا
من باب الشريعة ❋ ولا طريق إلى الحرية
إلا من باب العبودية ❋

ولا حملني على ما نقلت من كلام شيوخ
الطريقة رضي الله عنهم في هذا المعنى إلا
أني نرى جل فقهاء الظاهر رضي الله عنهم
لا يسيؤون ظنهم بأحد من أهل الخطأ مثلما
يسيئون ظنهم بأهل الطريقة وهم أهل العلم

الباطن رضي الله عنهم ❉ ولا يبادرون إلى الإنكار على أحد من العصاة كما يبادرون إلى الإنكار عليهم ❉ ويزعمون أنهم على صواب فيما هم عليه من الاشتغال بالعلم الظاهر ❉ وهم لطف الله بهم مع اشتغالهم بالعلم الذي لا يعبد ربنا إلا به كأن الله تعالى لم يأمرهم بمخالفة أهوائهم ❉ وهذا منهم جهل كبير وخطأ شهير والعياذ بالله ❉ وقد نرى أن يتوبوا مما هم عليه عزما من غير تراخ ❉ وإلا أهلكوا أنفسهم وأهلكوا

المقتدي بهم من العامة الجهال ❁ إذ هم يغلقون باب التوبة في وجوههم ❁ وفي وجه كل من يقتدي بهم ❁ وهي مفتوحة إلى أن تطلع الشمس من مغربها كما قال تعالى ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾ ❁ إذ المراد طلوع الشمس من مغربها ❁ والله ورسوله أعلم ❁

ويا عجبا كم شددوا ❁ وكم بعّدوا ❁ وكم صعّبوا ❁ وكم ضيّقوا على الناس المسالك ❁

وعرّضوهم للمهالك ❋ ومع ذلك فأهل الصدق دائما يتوبون ❋ دائما يربحون ❋ دائما يسلكون ❋ دائما يصلون ❋ فباب الكرم هو الباب ❋ يا من لا يفرق بين الخطأ والصواب ❋

ويا عجبا الواصل لا يشدّد ولا يضيّق مع وجود قربه ❋ والمنقطع يشدد ويضيق مع وجود بعده ❋ فقد كان أستاذنا رضي الله عنه يقول لنا دائما : «فما علينا إلا فضل الله وفضل ساداتنا علماء الظاهر الذين قبضوا لنا

أعلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ❋ فبعدما يغرق أحدنا في بحر الحقيقة ينظر إلى أعلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي بيد ساداتنا أهل العلم الظاهر رضي الله عنهم ويرجع إليه ❋ وينجو من الغرق» ❋

وكان يكرر علينا دائما قول كلام الكّمل من أهل العلم الجامعين بين علم الشريعة وعلم الحقيقة رضي الله عنهم : «من تشرع ولم يتحقق فقد تفسق ❋ ومن تحقق ولم يتشرع فقد تزندق ❋ ومن جمع بينهما فقد تحقق» ❋

ويكرر علينا أيضا من كلامهم : «قوم حجبوا بالشريعة عن الحقيقة ❋ وقوم حجبوا بالحقيقة عن الشريعة ❋ وقوم جعلوا الشريعة بابا والحقيقة بابا ❋ ﴿أُولَيكَ حِزبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزبَ اللهِ هُمُ المُفلِحُونَ﴾ ❋ وقد أدركنا يا سيدي أحمد من شيوخ الطريقة رضي الله عنهم أستاذنا أبا الحسن سيدي علي الجمل رضي الله عنه ❋ وأدرك هو رجلا شريفا كبيرَ السن ❋ حسنَ الوجه ❋ نظيف الحالة ❋ علي الهمة ❋ كريم الأخلاق ❋ من ناحية

المشرق ❊ واسمه عبد الله ❊ وجده بالمدينة التطوانية حرسها الله عند بعض الناس بالدار لم يخرج ولم يدخل ولم يعرفه أحد ❊

قال لي رضي الله عنه : «فما رأيت كرما أكبر من كرمه رضي الله عنه ❊ إذ هو قد تخلق باسم الله تعالى الكريم ❊ وقال لي : «سبب ملاقاتي به بركة زيارة مولاي عبد السلام بن مشيش نفعنا الله ببركاته» ❊ وسمعت منه أنه صاحبه سنين بالمدينة المذكورة حرسها الله ❊

وأدرك أيضا الشيخ سيدي العربي بن عبد الله الفاسي بحومة المخفية رضي الله عنه ❋ وقد عرفه قبل أن يعرف الشريف المذكور ❋ لكن لم يصح له من عنده شيء إذ كان مخلقا باسم الله تعالى ﴿المانع﴾ ❋ فلذلك بحث على حاجته حتى وجدها عند الشريف المذكور ففتح الله عليه على يديه ❋ ولما مات الشريف رجع هو إلى فاس مفتوحا عليه كما قلنا ❋ فصحب حينئذ سيدي العربي بن عبد الله المذكور ست

عشرة سنة ❋ والأسرار التي كان يرى منه
قد كادت أن لا تنحصر ❋ فما سمعته
يذكـــره ثم لم يبك عليه ❋ والله على ما
نقول وكـــيل ❋

وكان رضي الله عنه كبير السن غاية ❋
خامل الذكر لا يعرفه أحد ولا يقر له
بالفضل ❋ إذ كان يميل إلى الخراب ❋
وحال الخراب ينفر الناس منه ❋ وكان
كثير الصمت ❋ وأدرك هو والده أبا
العباس سيدي أحمد بن عبد الله ❋ وكان

شهير الذكر عند كافة أهل المغرب ❋ وأدرك هو الشيخ سيدي قاسم الخصاصي رضي الله عنه ❋

واسمع وصيته لبعض إخوانه في الله : «لا تشتغل قط بمن يؤذيك ❋ واشتغل بالله يرده عنك ❋ فإنه هو الذي حركه عليك ليختبر دعواك في الصدق ❋ قد غلط في هذا الأمر خلق كثير فاشتغلوا بإذاية من آذاهم ❋ فدام الأذى مع الإثم ❋ ولو أنهم رجعوا إلى الله لردهم عنهم وكفاهم أمرهم» ❋

ولما مات استخلف قطب الدائرة الشيخ أبو العباس سيدي أحمد اليماني رضي الله عنه ❁ وهو شريف قادري ❁ والله ورسوله أعلم ❁ فأخذ عنه هو وولده الشيخ سيدي العربي الذي هو شيخ أستاذنا الشريف ❁ وكان شاباً حينئذ ❁ وقد ذكرنا سلسلتهم نفعنا الله بهم فيما تقدم ❁

واعلم أني سمعت أستاذي يقول مرارا متعددة : «مِن شق تونس إلى شق وادي نون ❁ قيل يوجد اثنين من أهل هذا الفن

وقيل لا ❊ والمدعون كثيرون والمخلصون قليلون ❊ وفي كتاب الله ﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ ❊ وقد قلت لي يا سيدي أحمد اكعرير أن العالم الرباني الشريف أبا العباس سيدي أحمد بن عجيبة رضي الله عنه قد لقي جماعة من صلحاء الباطن بمدينة فاس حرسها الله فاستبعدت قولك رضي الله عنك ❊ واستغربته غاية ❊ لأني كنت هنالك ولم يكن مما قلت به إلا أستاذنا رضي الله عنه ❊ والآن ليس هنالك إلا المدعون ❊ أو

بعض الإخوان من أصحابه رضي الله عنه ❊ ولا شك أن الأمر غريب كما قال أستاذنا وكما قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي أبي مدين رضي الله عنه :

متى أراهم وأنى لي رؤيتهم
أو تسمع الأذن مني عنهم خبرا

إذ لا شك أن الأولياء رضي الله عنهم غالب أحوالهم حال الدنو ❊ والناس لا ينظرون إلا إلى حال العلو ❊ فكيف

يعرفونهم ❁ فما أبعدهم من بعضهم إلا من أخذ الله بيده ❁

قال الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي ابن عطاء الله في حكمه رضي الله عنه : «سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث جعل الدليل عليه ❁ ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه» ❁ فإن قيل لي : «كيف جرى لك أنت حتى عرفتهم وأخذت عنهم ❁

قلت : نظرت إلى حال الدنو ولم ننظر إلى حال العلو ❁ فوجدت حاجتي هنالك والحمد لله والشكر لله ❁ وجل الناس لا ينظرون إلا إلى الدنيا وإلى من هي عنده ❁ ولا ينظرون إلى الفقر ❁ ولا إلى من هو فقير ❁ ومنهم من إذا رأى وليّا فقيرا ليس له شيء من الدنيا يفر منه ولا يقرب إليه ❁ ويقول : «لو كان وليّا لكان غنيّا ولم يكن فقيرا ❁ لم يعمل الخير في رأسه فكيف

يعمله في الناس» ❋ ولم يدر أن الولي هو الفقير من الدنيا الغني بالله المكتفي به ❋

وأما الرواتب التي قلت لي ❋ فقد عرفتها وأنا شاب صغير ❋ لكن غلبني العجز والكسل ❋ فادع الله لي بالتوفيق والله يكافيك ❋ وقد ذكرنا أستاذنا رضي الله عنه عمل قد قل من هو عليه من الناس مع أنه لا تقوم الأعمال إلا به ❋ وهو التحقق بالوصف ❋ كما قال الشيخ سيدي ابن عطاء الله في حكمه رضي الله عنه : «كن

بأوصاف ربوبيته متعلقا وبأوصاف عبوديتك متحققا» ❊

وقالوا أي القوم رضي الله عنهم : « كلما دفنت نفسك أرضا أرضا ❊ سما قلبك سماء سماء» ❊ وقال لي يا سيدي أحمد أحد فقهاء فاس مثل ما قلت لي ❊ فأجبته بأجوبة كثيرة ❊ ولنذكر لك بعضها محبة فيك ❊ لا مقابلة لك ❊ فمنها قول بعض الصحابة رضي الله عنهم : «تابعنا الأعمال كلها فلم نر لأمر الآخرة أبلغ من الزهد في الدنيا» ❊

وقد ذقنا شيئا من ذلك ❋ فلذلك اختلفنا فيما تقول كما ترى ❋ وأيضا مهما كان التركيز في الأعمال الظاهرة لم يكن في الأعمال الباطنة ❋ إذ القوة لا تكون في الجهتين (إذا ركزت في الأعمال الظاهرة قللت من الأعمال الباطنة ❋ وإذا ركزت في الأعمال الباطنة قللت من الأعمال الظاهرة) ❋ كما قلنا مرارا متعددة وكما قال غيرنا ❋

وقلت له يا سيدي أحمد : نوافلنا لا يدريها إلا أهل الذوق الصريح ❊ وهي تبعّد من الخلق ❊ وتقّرب من الحق ❊ إن الذي تكرهون مني ذاك الذي يشتهيه قلبي ❊ كما قيل ❊

وقد قلّ من كان عليها من أهل الطريق ❊ إنـما كان عليها بعض الأقوياء من الأولياء رضي الله عنهم كالشيخ الجليل ولي الله تعالى أبي حفص سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه إذ قال :

تمسك بأذيال الهوى واخلع الحيا
وخل سبيل الناسكين وإن جلوا

وكان الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي على التستري رضي الله عنه إذ قال :

عريان نريد نمشي أجل شي
كما مشى قلبي غيلان مي

وقد كان الشيخ الجليل ولي الله تعالى سيدي عز الدين بن عبد السلام رضي الله عنه يقول : «وهل ثَمَّ طريق غير ما فهمنا

من الكتاب والسنة» ❊ وينفي طريق القوم ❊ فلما اجتمع بالشاذلي وأخذ عنه صار يقول : «والله ما قعد على قواعد الشريعة التي لا تنهدم إلا الصوفية» ❊ وكذلك كان يقول الشيخ الجليل الإمام الغزالي رضي الله عنه قبل اجتماعه بشيخه البازغاني ❊

وقلت له يا سيدي أحمد : «قد سلك طريق الباطن عدد كبير من الأولياء رضي الله تعالى عنهم ❊ ولم يردهم عنها لا من كبُر شأنه ولا من صغر شأنه ❊ وقد قال الله

تعالى في كتابه ﴿ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾ ❁ وهي هي والله ورسوله أعلم ❁ والظاهر والباطن ضدان ❁ والضدان لا يجتمعان إلا لرجل قدمه على قدم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ❁ كالإمام سيدنا أبي بكر الصديق ❁ والإمام سيدنا عمر بن الخطاب ❁ والإمام سيدنا عثمان بن عفان ❁ والإمام سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ❁ وكولديه الإمام سيدنا الحسن

والإمام سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنهم أجمعين ❁ وكالولي الأكبر سيدي الحسن البصري ❁ والولي الأكبر سيدي ذي النون المصري ❁ والولي الأكبر سيدي إبراهيم بن أدهم ❁ والولي الأكبر سيدي سفيان الثوري ❁ والولي الأكبر سيدي معروف الكرخي ❁ والولي الأكبر سيدي أبي يزيد البسطامي ❁ ونظرائهم من الشيوخ المشارقة ومن الشيوخ المغاربة ❁ وهم كثيرون كما قلنا رضي الله عنهم وعنا ❁ إلا أنهم لا

يعرفهم إلا من وصل مقامهم ❋ أو وقف على آثارهم فاستدل عليهم ❋

وأما من دونهم فلا يكونون إلا من أهل الظاهر بلا باطن ❋ وإلا من الباطن بلا ظاهر ❋ وإلا لا باطن لهم ولا ظاهر ❋ لأن الضدان لا يجتمعان إلا لرجل قدمه على قدم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما قلنا ❋ إذ هو صعيب غاية الصعوبة ❋ وقد قيل : «إن ملكا من الأملاك عليهم الصلاة والسلام يسبح الله

تعالى دائما ❋ ثم يقول في تسبيحه : «سبحان من ألف بين الثلج والنار» ❋

وقد اعترَض الشيخ الجليل ولي الله تعالى أبو العباس سيدي أحمد اليماني ومن كان معه من أشياخه الفاسيين وأشياخنا العبدلاويين رضي الله عنهم ❋ على الشيخ الجليل سيدي الحسن اليوسي قوله : «وزين الظاهر بالمجاهدة وأصلح الباطن بالمشاهدة» ❋ فقالوا له : «القوة لا تكون في الجهتين ❋ فمهما تقوى الظاهر في المجاهدة ضعف

الباطن في المشاهدة ❋ ومهما تقوى الباطن في المشاهدة ضعف الظاهر في المجاهدة» ❋

وقال بعض السادات رضي الله عنهم : «من رأيته معتنيا بظاهره فاعلم أن باطنه خراب» ❋

قلت : وقد قلّ من جمع بين الظاهر والباطن ❋ أو بين الشريعة والحقيقة ❋ أو بين الصحو والسكر ❋ أو بين الفرق والجمع ❋ وهكذا ❋ وقد كررنا هذا مرارا متعددة فلا نحتاج إلى متابعته أكثر من هذا ❋

وأما تأويل الرؤيا التي ظهر للعالم الجليل الشريف سيدي أبي العباس أحمد بن عجيبة الأنجري ❊ فهو عجيب مناسب لاسمه «ابن عجيبة» ❊ والله ورسوله أعلم ❊

وافرح يا سيدي أحمد بما أعطاك نبيك صلى الله عليه وآله وسلم في رؤيتك إياه في المنام ❊ واعلم أنه يأتيك وهبيا كما كانت رؤيتك وهبية ❊ فقد رأيناه صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن كنا معك بمدينة فاس دفع الله عنها كل باس ❊ وكنا بها هنالك والله ورسوله

أعلم وقت دخول البريجة ❁ وقد دخلها
السلطان الأعظم الشريف الأكرم أبو
عبد الله سيدي محمد بن عبد الله بن
اسماعيل الحسني العلوي رحمه الله عام اثنين
وثمانين ومائة وألف ❁ فأردت أن أقوم إليه
من رقادي ❁ فأشار إلي بيده الكريمة ﷺ
مرة أو ثلاثا أن أبقى على رقادي ❁
فقصصت ذلك على أستاذي حين عرفته
❁ فقال لي : «قد أمّنك صلى الله عليه وآله

وسلم» ❋ فظهر لي والله وجه الأمان ❋
وشاهدته بالعيان ❋ والحمد لله والشكر لله ❋

ورأيت بأثر رؤيته في تلك الساعة مولاتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها ❋ فارتحل قلبي بسبب رؤيتها عن عوائده ❋ وعن سائر شهواته ❋ ولم يقبل إلى ذلك قط ❋ ومن تلك الساعة ونحن بخير والحمد لله والشكر لله ❋ وذلك سر الرؤيا الحقيقية ❋

وكان أستاذي رضي الله عنه مستغرق الأوقات في رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم يقظة ومناما ❋ وقد ترجح لي والله ورسوله أعلم أنه أقوى من سيدي المرسي بما رأيت منه من الاستغراق في رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم ❋ ومخاطبته إياه ❋ لأني صحبته أعواما عديدة ❋ ورأيت أيضا وصفه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما ترك من الأذواق ❋ فبينه وبين سيدي المرسي فرق كبير ❋ ومن أراد أن يعرف هذا من هذا

فلينظر ما لسيدي ابن عطاء الله في أستاذه المذكور في كتابه الطائف المنن ❋ وما لأستاذنا في كتابه ❋ فإنه يرى إن شاء الله القوي منهما من الضعيف في رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم ❋

والله سبحانه ذو القوة المتين ❋ وهو حسيبنا إن قوينا شيخنا بشهوة أنفسنا ❋ إنـما قويناه كما قواه ربنا ❋ واكتفاؤنا بعلم ربنا هو الذي حملنا على ما قلنا في شيخنا ❋ لا عدم اكتفائنا بعلم ربنا ❋ ولو سكتنا عما في علمنا

من قوة أستاذنا في رؤيته خوفا من أن يقال
فينا ذلك منا من عدم اكتفائنا بعلم ربنا ❊
لكان أمرنا كذلك ❊ وحيث لم يكن كذلك
قلنا في أستاذنا ما في علمنا ❊ وسواء قيل
ذلك فينا أو لم يقل اكتفاء منا بعلم ربنا ❊
وحملنا أيضا على التعريف بقوة أستاذنا ما
رأينا من أحوال الناس ❊ إذ هم لطف الله
بهم لا يرون الفضل لمن حضر ❊ إنما يرونه
لمن غاب ❊ ولو كان من أكبر أهل الفضل
❊ وهذا حال جلهم والعياذ بالله ❊ والسلام ❊

الرسالة الثانية والثمانون

في ذكر بعض من أحوال شيخه
و أقواله رضي الله عنه

82- ومنها : فالنية أيها الفقير هي الإكسير الحقيقي لا محالة ❊ لما حضرت لنا فتشنا على من يأخذ بيدنا ❊ فوجدناه بين أيدينا لا مسافة بينه وبيننا ❊ وقد كاد أن يوجد معنا بدارنا ❊ واللهُ على ما نقول وكيل ❊

وكان رضي الله عنه جلاليًا في الظاهر جماليًّا في الباطن ❊ أي ظاهره ذلّا عبودية وباطنه

عزّا حرية ❁ وما أقبح العكس وهو الظاهر عزا حرية والباطن ذلا عبودية ❁ والظاهر سنيا والباطن عبودية ❁ أو الظاهر حلاليا والباطن حراميا ❁ أو الظاهر ربانيا والباطن شيطانيا ❁ وهكذا ❁ إنما حرموا الوصول لتضييعهم الأصول ❁ ولا شك أن الخاصة كأستاذنا ونظرائه لما ذلوا ظواهرهم اختيارا منهم أعز الله بواطنهم وظواهرهم ❁ فهم دائما في الفرح والسرور ❁ والعامة لما عكسوا وعزوا ظواهرهم اختيارا منهم ❁

أذل الله ظواهرهم وبواطنهم ❋ فهم دائما في الكدر ❋

وقد اكتفى بعلم الله أيضا أستاذنا فلم يلتفت لا لظهور ولا لخفاء ❋ إذ كان لا ينظر إلا إلى ما بينه وبين ربه ❋ ولا يلتفت إلى قول مادح ولا إلا ذم ذام ❋ وكان يكثر من ذكر هذه الأبيات :

فليتك تحلو والحياة مريرة
وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر
وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين
وكل الذي فوق التراب تراب

وقد كان لسان حاله يقول : «اللهم الفضيحة مع الخلق والستر مع الحق * ولا العكس» * وهو الستر مع الخلق والفضيحة مع الحق * قال الله عز وجل ﴿إِنَّهُم لَن يُغنُوا عَنكَ مِنَ اللهِ شَيئًا﴾ * واسمع أيها الفقير بعض كلامه رضي الله

عنه : «إذا اشتغلت الناس بالعبادة فاشتغل أنت بالمعبود ❁ وإذا اشتغلت بالمحبة فاشتغل أنت بالمحبوب ❁ وإذا اشتغلت بطلب الكرامات فاشتغل أنت بلذيذ المناجاة ❁ وإذا اشتغلت بتكرير الأوراد فاشتغل أنت بربك الجواد» ❁ وهكذا ❁

وقال أيضا بعد كلام تقدم : «ولو شهدته في كل شيء لحجبت بشهوده عن كل شيء ❁ وهو الواحد الذي ليس معه شيء ❁ ولو قرنت الحادث بالقديم لتلاشى

الحادث وبقي القديم ❁ ولو ظهرت صفات المحبوب لفني الحجاب والمحجوب ❁ ولو تجلت أنوار الشهود لفني الزاهد والمزهود ❁ رفعت الأشياء فوق قدرها حين زهدت فيها ❁ وذلك لحجابك عنه ❁ لو شهدته فيها أو قبلها أو بعدها ما حجبت بها عنه ❁ اشتغالك بها عنه هو الذي حجبك عنه ❁ ولو شهدت وجودها منه ما حجبت بها عنه ❁ ولا حال بينه وبين المعبود إلا الفرح بالموجود والحزن على المفقود ❁ ولا حجبك

عن النعيم إلا هذا الوصف الذميم ❊ لولا الواشي والرقيب لم يكمل فرحك بالحبيب ❊ ولولا النار ولدغ النحل لم تكمل لذة الشَّهد والعسل» ❊ وهكذا ❊

وقال رضي الله عنه : «من زعم أنه شرب من شراب القوم أو فهم معانيهم ولم يزهد في الدنيا فقد كذب ❊ وكما أن الجنة محرمة على من لم يمت ويبعث ❊ كذلك جنة المعارف محرمة على من لم تمت نفسه عن الدنيا وعن تدبيرها واختيارها ❊ وعن

إرادتها وشهواتها ❋ وعن كل شيء دون الله» ❋

وقال رضي الله عنه : «والله لا تقل "أنا" إلا بعد حصول الفنا ❋ ولا تحصل لك الحياة إلا بعد الممات ❋ ولا تشرق لك الشموس إلا بعد موت النفوس ❋ ولا تبلغ المنى حتى لا يبقى لك بين الأنام ثنا ❋ ولا تذق طعم الإيمان إلا بالخروج عن الأكوان ❋ ولا يحصل لك الهنا إلا بعد الفنا عن أهل الفنا ❋ ولو انهتكت لك

الحجب لشهدت في ذاتك المحبوب ❁ ولو زالت عنك الأوهام لشهدت الباقي على الدوام ❁ ولو طُويت عنك مسافةُ نفسك لما رأيت موجودا سوى ربك ❁ ولو سلِمت نفسك من الرذائل لجاء الحق وزهق الباطل» ❁ وهكذا ❁ وله من الفوائد خرق العوائد رضي الله عنه ❁ والسلام ❁

الرسالة الثالثة والثمانون

لا عبرة بعلم من تصرف قبل أن يتصوف

83- ومنها : فلا تغتر بعلم من تصرف قبل أن يتصوف ❊ والمتصرف قبل أن يتصوف هو الذي لم يتحقق بوصفه ❊ ولا يقبل من علم الصوفية رضي الله عنهم إلا ما كان ناشئا عن تحقق بوصف وهو لا يخفى والله ورسوله أعلم ❊ إذ قالوا رضي الله عنهم : «تكلموا تُعرفوا» ❊ وفي الحكم العطائية : « كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز» ❊ إلى غير ذلك ❊ والسلام ❊

الرسالة الرابعة والثمانون

في حقيقة التجريد

84- ومنها : فلا نحب أخي أن يتجرد من أسبابه وثيابه المعلومة حتى ينوي أنه قد تجرد من حالة أهل الغفلة ولبس لباس أهل اليقظة ❋ أو تجرد من لباس أهل الدنيا ولبس لباس أهل الآخرة ❋ أو تجرد من لباس أهل العوائد ولبس لباس أهل خرق العوائد ❋ أو تجرد من لباس أهل البعد ولبس لباس أهل القرب ❋ أو تجرد من لباس الأموات ولبس لباس الأحياء

❁ أو تجرد من لباس الذل ولبس لباس العز ❁ أو تجرد من لباس الفقراء من الله ولبس لباس الأغنياء بالله ❁ أو تجرد من لباس العامة ولبس لباس الخاصة ❁ أو تجرد من لباس العيال ولبس لباس الرجال ❁ أو تجرد من لباس الرعية ولبس لباس السلطنة الربانية ❁ والسلام ❁

الرسالة الخامسة والثمانون

في التحذير من أهل الدنيا

والحث على العزلة بشروطها الشرعية

85- ومنها : فاحذر من أهل الأغراض الدنياوية دائما ❊ إذ في القرب منهم بعد من الله ❊ ومن كذب فعليه لعنة الله ❊ ولا شك أن العزلة إذا كانت بشروطها تنتج خالص العلم ❊ وخالص العلم ينتج خالص العمل ❊ وخالص العمل ينتج خالص الحال ❊ «حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال وحسن الأحوال من

التحقق في مقامات الإنزال» كما قال ولي الله تعالى الشيخ الجليل أبو العباس سيدي أحمد بن عطاء الله رضي الله عنه في حكمه ❋

الرسالة السادسة والثمانون

لا تجتمع رؤية الله مع رؤية ما سواه

86- ومنها : فلا يمكن أن يرى ربنا جل جلاله ويرى معه سواه ❋ كما لا يمكن أيضا من يرى ربه أن يكون سيئا خلقه ❋ والسلام ❋

الرسالة السابعة والثمانون

في تعظيم جانب الله تعالى وجانب أوليائه والحث على التوسع في تفسير كتاب الله

87- ومنها : فإني أحبك أن تعظم جانب ربك ❊ إذ التعظيم هو سبب الربح ❊ وما نال من نال خصوصية وبركة على يد أحد من أهل الله إلا بسبب تعظيمه إياه ❊ ولولاه لم ينل منه شيئا ❊ وقد أحسنت يا أخي في تقييد كلامنا ❊ فجزاك الله خيرا عنا ❊

العلم صيد والكتابة قيده

قيد صيودك بالحبال الموثقة

وأما قولك: «اللسان والقلم عندك والقلب لم تعرف هل هو عندك أم لا» ❁ فاختبر نفسك وقت فاقتك ❁ ووقت ذم الناس لك ❁ ووقت فقدان شهوتك ❁ فإن انشرح صدرك وسررت حينئذ فالقلب عندك لا محالة ❁ وشاهدنا من كتاب الله تعالى ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدرَهُ لِلإِسلَامِ فَهُوَ عَلَى

نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ❁

ونرى أنه شاهد كبير ❁ إذ الإسلام الرفيع هو الإبراهيمي الذي عليه الصوفية ❁ إذ هم رضي الله عنهم كما يجدون قلوبهم وقت الرخاء يجدونها وقت الشدة ❁ وكما يجدونها وقت الصحة يجدونها وقت المرض ❁ ووقت العافية كوقت البلية ❁ ووقت الغنى كوقت الفقر ❁ ووقت العز كوقت الذل ❁ ووقت التوسيع كوقت الضيق ❁

وهكذا ❋ كسيدنا ابراهيم عليه السلام الذي
وجد قلبه في غاية الضيق ❋ أو نقول : البلية
والمحنة ❋ اللهم اجعلنا وكل من تعلق بنا من
أهل الملة الإبراهيمية ❋ بجاه خير البرية
سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد صلى الله عليه
وآله وسلم ❋

واحذر يا أخي أن تفسر آية من الآي
تفسيرا قصيرا ❋ بل بالغ في تفسيرها تصيب
❋ وإذا لم تبالغ في تفسيرها فإنك تخطيء لا
محالة ❋ إذ القرآن عظيم ❋ ومعاني العظيم

لا تكون إلا عظيمة ❊ وفيه ما لا يعلم تأويله إلا الله ❊ فيا ليت من فسره من ساداتنا العلماء أهل الظاهر لو اشتغلوا بتلاوته عن تفسيره حتى يفتح الله عليهم في معانيه الباطنة ويكونون جامعين من علم الظاهر وعلم الباطن ❊ أو بين علم الشريعة وعلم الحقيقة ❊ وحينئذ يفسرونه كما فسره كثير من الكمّل منهم رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم ❊ آمين ❊

فإن قلت : «القرآن يشهد للإبراهيمي ويشهد لغيره» ❁ قلت : وهل يستوي من لا يشرح صدره إلا لوجود شهواته وأغراضه ❁ مع من غاب عن شهواته وأغراضه في شهود عظمة ربه ❁ لا والله لا والله لا والله ❁

واختبر قلبك أيضا هل يستمد من القرآن العظيم ❁ ومن حديث النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ❁ ومن الشيوخ أهل الظاهر وأهل الباطن ❁ ومن الإخوان ❁ ومن الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم

❋ فإن وجدته يستمد من الجميع فهو قلب كبير ❋ وإلا فادن ممن حاله هكذا ولا تفارقه حتى تكون كما هو صبغتك صبغته ❋ وصبغته صبغتك ❋ والمستمد من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم تستمد منه المخلوقات بأسرها ❋ علويها وسفليها ❋ غائبها وحاضرها ❋ قريبها وبعيدها ❋ كثيفها ولطيفها ❋ ومهما تقوى استمداده تقوى استمدادها ❋ ومهما ضعف استمداده ضعف استمدادها ❋ لكن نرى إن كان كاملا

مهما تقوى استمداده في جهة توجه للأخرى لكي يعادل الجهتين المستمدتين منه ❁ لئلا يقع الممد لأحدهما ❁ وهكذا صاحب هذا القلب ❁ أو نقول : صاحب هذا المقام العظيم إلى انقراض الدنيا ❁ واللهُ على ما نقول وكـــــيل ❁ والسلام ❁

الرسالة الثامنة والثمانون

في الحث على التقوى في طلب العلم

88- ومنها : فإني أرى تحصيل العلم يتوقف على أمرين ❁ أحدهما : الصدق دائما في

القول والفعل من غير تبديل ولا تغيير ❋

الثاني : مناسبة الكلام للكلام ❋ ولا يفعل ذلك إلا من اتقى الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ ❋ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ❋ والسلام ❋

الرسالة التاسعة والثمانون

في الحث على التحقق بوصف العبودية الحقة في كل الأحوال

89- ومنها : فإن شئت أن تكون قويا على الدوام * فكن ضعيفا على الدوام * وأقلل من الطعام والكلام والاستئناس بالأنام * وإن شئت أن تكون غنيا على الدوام * فكن فقيرا على الدوام * وإن شئت أن تكون عزيزا دائما فكن ذليلا دائما * أو علويا دائما فكن سفليا دائما * أو حرا دائما فكن عبدا دائما * أو ترى كما تحب وترضى

دائماً فكن مع نفسك على ما لا تحب وما

لا ترضى دائماً ❀ أو معرفة الخلق إياك دائماً

فاكتف بعلم الله دائماً ❀ أو الفوائد دائماً

فاخرق من نفسك العوائد دائماً ❀ أو خفت

العوائق دائما فاترك العلائق دائما ❀

والسلام ❀

الرسالة التسعون

المرء مع من تعلق به

90- ومنها : فالله يجعلك دليلَ الخيرات

فتفني النفوس وتحيي القلوب ❀ واسمع ما

قال محبنا سيدي محمد البوزيدي رضي الله عنه : «النفس لا تموت ما دامت مجاورة ومؤنسة بأهل النفوس الحية ❋ إنما تموت بمجاورة أهل النفوس الميتة» ❋ واللهُ تعالى يجعلك حصنا حصينا ❋ فكل من تعلق بك ينجو أو يسعد بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ❋

وهذه المذاكرة قد كتبناها لأخينا في الله أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الله المكودي بتازة حرسها الله ❋ إذ كان

رضي الله عنه قد كتب لولدنا أحمد رحمه الله دليل الخيرات والحصن الحصين ❋ والسلام ❋

الرسالة الحادية والتسعون

لا يعرف الله تعالى من التفت إلى سواه

91- ومنها : فاحذر أن تكون حريصا على مذاكرة أحد من الناس إلا إن اضطر إليك ❋ وعلامة اضطراره إليك أن يتيسر لك ما تمده به من المواهب الربانية ❋ التي هي العلوم الوهبية التي ترد على القلوب الخالية

من حب الدنيا ❊ المطهرة من كل وصف
ذميم ❊ وكن أيضا مكتفيا بربك ❊ ولا
يكتفي به إلا من عرفه سبحانه ❊ إذ محال
أن تعرفه معرفة العيان ثم تلتفت إلى نعيم
الجنان ❊ وكل من زعم أنه عرف ربه ❊
أو نقول : رأى ربه ❊ وهو يلتفت إلى شيء
دونه جليلا كان ذلك الشيء أو حقيرا ❊
فهو كذاب ❊

وكيف لا يغيب عن كل شيء من يرى
من ليس كمثله شيء ❊ فأي جمال مثل

جماله ❊ وأي شيء يُعشق في الدارين مثل رؤية وجه ربه ❊ ورؤيته سبحانه لا تُدرك ولا يَطمع فيها أحد قط إلا بعد فناء نفسه ومحوها واضمحلالها وذهابها وزوالها ❊ كما قلنا عن شيوخنا وشيوخهم ❊ وشيوخ الطريقة كلهم رضي الله عنهم ❊

قلت : «ولا يرى ربنا بالأشباح التي هي مادة الفناء ر إنما يرى بالأرواح التي هي مادة البقاء ❊ فافهم» ❊ والسلام ❊

الرسالة الثانية والتسعون

في الحض على المذاكرة وبيان فضيلتها

92- ومنها : فالمذاكرة عند القوم رضي الله عنهم من أهم المهمات ❊ فلا يستغني عنها إلا من جهل قدرها ❊ وقد كان شيخ أستاذنا وهو سيدي العربي بن عبد الله رضي الله عنه يقول : «الناس خمرتهم في الحضرة ❊ وخمرتنا نحن في الهدرة» (التكلم) ❊

وأيضا : «مذاكرة اثنين أفضل من حمل وقرين» (هذا المثل منسوب لسيدنا الإمام

الشافعي ❊ ويعني أن النقاش وتبادل المعرفة مع شخص آخر أفضل وأنفع من حفظ محاولة تذكر حملٍ ثقيل من الكتب والمعلومات) كما عند القوم ❊ وعليه فلا نحب من يسكت من الإخوان وقت المذاكرة ❊ بل نكرهه الكراهة البالغة إذ لا فائدة في الصمت حينئذ ❊ إنما فيه قتلها ❊ لأن المعاني تجر بعضها بسبب الكلام حتى يجر صاحبها إلى الحضرة الربانية ❊ ولا خفاء أن الدجاجة لا تلد إلا بعد أن تجعل

لها مولاتها بيضة ❊ كذلك شيوخ الطريقة

رضي الله عنهم ❊ لا ترد عليهم العلوم التي

ينفقونها على المقتدي بهم إلا بوجود بحثهم

(سؤالهم) وحكّهم الحكّ البالغ (كالديك

عندما ينقر ليأكل) ❊ لأن السؤال يدعو إلى

الجواب ❊ والجواب يدعو إلى السؤال ❊

وهكذا ❊ إلى أن يحصل الوصال ❊

وقد كنا ذات يوم على حال المذاكرة ونحن

بفاس البالي عمرها الله ❊ وبعض الإخوان

معنا صموت لا يتكلمون ❊ إذ قلت لهم :

«تكلموا معنا أو قوموا عنا» ❁ وكان أستاذنا يكره من يصمت من الفقراء وقت المذاكرة ويستثقله ويستقبحه ❁ حتى كان يظهر أثر ذلك في وجهه رضي الله عنه ❁ ويتلو قول الله عز وجل ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ ❁ وكان يقول : «لا يصمت وقت المذاكـــرة إلا من كان قلبه كالبيت المظلم المشحون بالخنافس ❁ وأما من قلبه سليم من الخنافيس فلا يصمت ❁ بل يتكلم ويخرج ما بباطنه إلى

وسط الحلقة ❋ وينزله (يتكلم) بها مليحا

كان أو قبيحا (تكلم بها بأدب من غير جرح

لأحد ❋ لأنك في حضرة شيخك) ❋ وأما

الذي يخرج (يتكلم) المليح ❋ والقبيح يخزنه

بباطنه (لا يتكلمه) ويستحي أن يخرجه ❋

فهذا لا يبرأ من علله ❋ وقد غشّ نفسه وهو

بين يدي الطبيب ❋ والله يداوي كل عليل

بمحض كرمه بجاه سيدنا النبي الحبيب صلى

الله عليه وآله وسلم وصحبه» ❋ والسلام ❋

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّد وَعَلَى
آلِهِ وَصَحبِهِ وَسَلَّمْ تَسلِيما كَثِيرًا ❋ سُبحَانَ
رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ❋ وَسَلَامٌ عَلى
المُرسَلِينَ ❋ وَالحَمدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِين ❋